أوباما والشرق الأوسط: هل هي نهاية اللحظة الأميركية؟

كتبه فواز أ.جرجس

راجعه كوري روزيكا

فواز جرجس في كتابه أوباما والشرق الأوسط: هل هي نهاية اللحظة الأميركية؟ يحاول دراسة السياسات التي يتبعها أوباما تجاه منطقة الشرق الأوسط المتقلبة والتي تتغير بسرعة. ويسهب جرجس في شرح الطريقة التي نجح بها العولميون، وأول مدرسة لإسرائيل في تشكيل الرأي العام في الولايات المتحدة حول الشرق الأوسط، وكيفية أن هذه العملية جعلت أوباما عاجزًا.

يقدم جرجس العديد من الأمثلة التاريخية لتوضيح كيف أن الولايات المتحدة قد عجلت من فقدان هيمنتها على المنطقة. ويوضح الكاتب أن أوباما سن سياسات ليست ذات قيمة حديثة ولكن كانت مجرد استمرارية لجداول أعمال الإدارات السابقة. ويتوسع في حجته خلال الأجزاء الختامية من خلال شرح كيف أن تبني أوباما لـ"مذهب مناهضة المذاهب" يدل على ثقافة عدم المرونة والانفصال عن الشرق الأوسط الحديث.

ثم يوضح جرجس أن نهج التدمير الذاتي الذي اتبعته أميركا لا يرجع إلى حالة بعينها، بل هو تتويج لخمسة عقود من الاستنزاف التدريجي التي تمثل في الحسابات السياسية الخاطئة. الأكثر ضررًا كان: دعم الولايات المتحدة لقيام دولة إسرائيل، ودعمها لانقلاب عام 1953 ضد محمد مصدق المنتخب شعبيًّا في إيران، والدعم القوي لإسرائيل بعد حرب الستة أيام في عام 1967، وحظر النفط لعام 1973، والثورة الإيرانية عام 1979، وأزمة الرهائن الناتجة عنها، وتدخل أمريكا العسكري في الخليج في عام 1991، مما أدى إلى التمركز الدائم للقوات الامريكية في المملكة العربية السعودية (ص31). ويرى الكاتب أن كل حادث منفرد يمثل نموذجًا مصغرًا، لمعرفة دوافع الرئيس أوباما وإدارته.

أولًا، إذن إنشاء دولة إسرائيل ببداية عصر القطبية الكبيرة في العلاقات الأمريكية العربية. قبل عام 1948، كان الرئيس ترومان يأخذ بعين الاعتبار تداعيات استعداء السكان العرب. ومع ذلك، تسببت الضغوط المستمرة للجماعات الصهيونية بجانب قسوة العملية السياسية المحلية في تجاهل ترومان لتحذيرات مستشاريه (ص32). ورأى العرب أن هذا كان بمثابة تغطرس أمريكي تجاه المشاعر الحقيقية لسكان المنطقة.

يمعن الكاتب النظر في هذه الظاهرة عن طريق انقلاب عام 1953 ضد محمد مصدق في إيران. فعلى الرغم من أن مصدق كان منتخبًا شعبيًّا، إلا أن الولايات المتحدة رأت أنه قومي لا يمكن الاعتماد عليه، ويشكل تهديدًا لمصالح الشركات النفطية

الأمريكيـة في كل مـكان (ص38). يؤكد جرجس أن هذا المثال نموذجي لتوضيح تجاهل الولايات المتحدة للشعب، وإقحام نفسها بقوة لمنع التحول عن الوضع الراهن. ويدعم هذا بالقول: "بدلًا من النظر للمنطقة من الداخـل إلى الخارج، نظر المسـؤولون الأميركيون من الخارج إلى الداخل، من منظور عولمي" (ص36). ويـرى المؤلـف أن هـذا الميـل للعولمـة اسـتمر ويمثل مواقف الإدارة الحالية.

وفي محاولـة لحشـد التأييـد، قـدم الرئيـس أوبامـا وعودًا خطابية نبيلة بهدف ترميم العلاقات الأمريكية العربيـة المتوترة. مـن وجهة نظر المؤلـف، كانت هذه التصريحـات مجـرد موقـف مـن المواقـف السياسـية، التـي لم تخفـف مـن حـدة التوتـرات مع المسـلمين بل زادت مـن قلقهـم. يتمعـن جرجـس في المحـن التـي مـرت بأوباما بسـبب خوضه في المفاوضـات الخلافية بشـأن حل "الدولتين". لكن عندمـا ثبت أن محادثات السـلام الإسرائيلية الفلسـطينية أكثـر تكلفة بكثير مما توقـع، تـرك الرئيـس أولًا نائبـه يواجه توبيـخ رئيس الوزراء الإسرائيلي ثم انسحب من عملية السلام تمامًا (ص11).

وفي الوقـت نفسـه، لم يفعـل أوبامـا شـيئًا يذكـر للاعـتراف بشرعية بعـض الجماعات الإسـلامية التي انتخبـت ديمقراطيًا. فكما يدعـي الكاتب، أن الرئيس راض عن الحفاظ على القوالب النمطية السلبية المحيطة بالجماعات التـي يفترض أنها "متطرفـة" (ص101). الجماعـات المنتخبـة ديمقراطيًـا –مثل حمـاس وحزب الله– تمثـل تهديدًا واقعيًا للتوازن الهيمني الأمريكي في المنطقـة. ويؤكد الكاتب أن هـذا الميل لا يرمز فقط إلى الرغبـة في الحفاظ على الوضع الراهـن، بل أيضًا عدم قدرة الرئيس على فهم الشعوب التي تتطور بسرعة في أعقاب الربيع العربي.

الـرأي المخالـف يـرى أن العلاقـات الإسرائيلية الأمريكيـة هـي تكافليـة بطبيعتهـا، حيـث إن كلا الطرفـين يسـتفيد مـن التحالف. وعـلاوة على ذلك، يـرى أن الولايـات المتحـدة لديها التـزام بالحفاظ على قدسـية دولـة إسرائيل، ويرجـع ذلـك إلى حقيقة أنها بمثابـة قناة إسـتراتيجية يمكن من خلالهـا أن تتغلغل الولايـات المتحـدة إلى المنطقـة. ويـرى المؤلـف أن الصهاينـة يدركـون ذلك جيدًا، واسـتخدموا طواعية أوبامـا لصالحهم. ومع ذلك، فـإن المخالفين يرون أن الرئيس له ما يبرره في دعمه لإسرائيل والاسـتبداديين الإقليميين، لأن الشعوب العربية ليست جاهزة حاليًا للتغيير الديمقراطي.

جوهريًا، يؤكدون أنه على الرغم من أن الديمقراطية أداة وظيفيـة في العـالم الغربي، إلا أنها شـديدة التقلب عندمـا توضـع بين أيـدي الـشرق الأوسـطيين. لكن جرجـس يدحض هـذا الادعاء في سـياق حظر النفط عام 1973، ويناقش نموذج كيسـنجر في التعامل مع الـشرق الأوسـط. بالنسـبة للعـرب، كان الهـدف من دبلوماسية خطوة بخطوة لكيسنجر هو كسب الوقت وتخفيـف الضغوط عـلى إسرائيل والولايـات المتحدة (ص52). ويشير جرجس إلى أن هذا النموذج ينطبق على مواقـف أوباما الراهنة. ويرى المؤلف، "أن خطبه [أوباما] رفعت سـقف التوقعـات داخل المنطقة، بينما خيبت تصرفاته أمال العالم الإسـلامي لأنه لم يسـتطع أن يترجـم آماله ووعوده إلى سياسـة ملموسـة" (ص25). يبـدو أن الرئيـس قـد اعتمد هذا النهـج لأنه لم يكن متفائلًا بشأن تجنب أي حوادث كبيرة في المنطقة، كما أنه كان مهتمًا بأماكن أخرى.

وعمومًـا، من خلال كتابه هذا ، يتمعن جرجس في تاريـخ وجـود الولايـات المتحـدة في الـشرق الأوسـط، ويشرح علاقـة الإدارة الحالية به. ويقدم

مجموعـة من الأمثلة التاريخيـة الغنية المحتوى لتعزيز مواقفـه. في إطار هذه المعايـير، يرى أن إدارة أوباما تصرفـت باعتبارهـا مجـرد منفـذ لسياسـات راكـدة عكفـت على تنفيذها الإدارات السـابقة لها. وبالتالي أنذرت بزوال هيمنة الولايـات المتحدة من المنطقة.

لقـد كانت تأكيدات الكاتب مبررة بشـكل شـامل. فقـد أوضح فـواز جرجس بحنكـة أن إدارة أوباما ورثت إطارًا مدمرًا، اسـتخدمته للدفاع عن الوضع الراهـن، وخدمـة مصالحهـم الإمبرياليـة، وقمـع الصوت الإسـلامي.